ELQarar®
Journal for Peer-Reviewed Scientific Research
Monthly scientific journal

Issue 29, Vol 10, Year 3 | May 2026 | Zul Qi'dah 1447
ISSN 7294-3006
Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)

البناء التربويّ للإنسان بين الطاعة والعصيان
في قصّة آدم وإبليس: «دراسة تحليليّة»

إعداد: الباحث / نبيل علي الخطيب | الجمهورية اللبنانية
دكتوراه في التربية | كلية الدعوة الجامعية
E-mail: Nabil.Khatib@irshad-islah.org
https://doi.org/10.70758/elqarar/10.28.9

تاريخ الاستلام: 2026/4/27	تاريخ القبول: 2026/5/8	تاريخ النشر: 2026/5/15

للاقتباس: الخطيب، نبيل علي،البناء التربويّ للإنسان بين الطاعة والعصيان في قصّة آدم وإبليس: «دراسة تحليليّة»، مجلة القرار للبحوث العلمية المُحكّمة، المجلد العاشر، العدد 29، السنة 3، 2025، ص–ص: 209–224. https://doi.org/10.70758/elqarar/10.28.9

المُلخّص

يتناول هذا البحث البناء التربويّ للإنسان في ضوء قصة آدم عليه السّلام وإبليس، من خلال تحليل أثر الطاعة والعصيان في توجيه السّلوك الإنسانيّ. ومن هنا، يركّز البحث على معالجة إشكاليّة حول كيفيّة تقديم القرآن الكريم نموذجًا تربويًّا يفسّر أسباب الإستقامة أو الإنحراف السلوكيّ عبر هاتين الشخصيّتين. وعلى هذا الأساس، إعتمد البحث المنهج التحليليّ للنّصوص القرآنيّة، وناقش أربعة محاور بما في ذلك العصبيّة وأثرها في الإنحراف السلوكيّ، ودور التكليف في توجيه السّلوك، وأهميّة الطاعة والتوبة في الإرتقاء التربويّ، وصولاً إلى آثار العصيان في إختلال التّوازن الفرديّ والمجتمعيّ. وتوصل البحث إلى أنّ العصيان ينبع من الكبر والإستكبار، ويؤدّي إلى إضطراب نفسيّ وإجتماعيّ، في حين تمثّل الطاعة والتوبة مدخلًا لإصلاح الشخصيّة وإستعادة توازنها. كما يؤكّد البحث أنّ التكليف الإلهيّ يعزّز الرقابة الذاتيّة ويوجّه السلوك الإنسانيّ وفق المنهج التربويّ للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحيّة: البناء التربويّ، الطّاعة، العصيان، آدم عليه السّلام، إبليس، التكليف، التوبة، التربية الإسلاميّة، السلوك الإنسانيّ، القَصَص القرآنيّ.

مجلة القرار ®
للبحوث العلمية المحكّمة
مجلة شهرية علمية

العدد 29، المجلد 10، السنة الثالثة | أيار (مايو) 2026 | ذو القعدة 1447
ISSN 3006-7294
مرخصة بموجب المشاع الإبداعي (CC BY 4.0)

The educational development of humankind between obedience and disobedience In the story of Adam and Iblis: An analytical study

Author: Researcher / Nabil Ali El Khatib | Lebanese Republic
PhD candidate in Education | University College of Da'wah
E-mail: Nabil.Khatib@irshad-islah.org
https://doi.org/10.70758/elqarar/10.28.9

Received : 27/4/2026	**Accepted :** 8/5/2026	**Published :** 15/5/2026

Cite this article as: El Khatib*, Nabil Ali, The educational development of humankind between obedience and disobedience In the story of Adam and Iblis: An analytical study, ElQarar Journal for Peer-Reviewed Scientific Research, vol 10, issue 29, Third year, 2026, pp. 209-224. https://doi.org/10.70758/elqarar/10.28.9*

Abstract

This study examines the human educational development in light of the story of Prophet Adam (peace be upon him) and Iblis, focusing on obedience and disobedience as determinants of human behavior. It addresses how the Qur'an presents a comprehensive educational model that explains behavioral deviation and elevation. Further, the study employs an analytical approach to Qur'anic texts and is structured around four main themes: arrogance and behavioral deviation, divine responsibility (taklif) and behavior guidance, obedience and repentance in human development, and the effects of disobedience on individual and social balance. The study concludes that disobedience is closely linked to arrogance, leading to psychological and social instability, while obedience and repentance contribute to personality reformation and behavioral equilibrium. It also highlights that divine responsibility plays a key role in developing self-monitoring and guiding human conduct within the Qur'anic educational framework.

Keywords: Educational construction, obedience, disobedience, Prophet Adam, Iblis, divine responsibility (taklif), repentance, Islamic education, human behavior, Quranic narratives.

ELQarar®
Journal for Peer-Reviewed Scientific Research
Monthly scientific journal
Issue 29, Vol 10, Year 3 | May 2026 | Zul Qi'dah 1447
ISSN 7294-3006
Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)

مقدمة

يمثّل البناء التربوي للإنسان في التصور القرآني عمليةً مركّبة تتداخل فيها الأبعاد العقدية والنفسية والسلوكية، بحيث لا يقتصر على توجيه الأفعال الظاهرة، بل يمتدّ إلى تشكيل الدوافع الداخلية وضبط معايير الحكم على السلوك. ومن هنا، لا يُقدَّم الإنسان في القرآن بوصفه كائنًا منقادًا أو منحرفًا على نحوٍ مطلق، بل بوصفه كائنًا مُبتلى بالتكليف، تتجاذبه دوافع الطاعة ومقتضيات العصيان، في إطار اختبار يكشف عن حقيقة استجابته لمنهج الله تعالى.

وتبرز قصة آدم عليه السلام وإبليس بوصفها نموذجًا تأسيسيًا في فهم هذا البناء، إذ لا تقف عند حدود السرد التاريخي، بل تكشف عن البنية العميقة للسلوك الإنساني من خلال موقفين متقابلين: موقفٍ انبنى على الامتثال ثم التوبة، وموقفٍ تأسّس على الاستكبار ثم الإصرار. وفي هذا التقابل تتجلّى معالم التربية القرآنية، التي لا تُقوِّم الفعل فحسب، بل تكشف عن جذوره النفسية ومنطلقاته القيَمية، وتبيّن أثرها في مآلات الإنسان فردًا ومجتمعًا.

وتكمن أهمية هذا البحث في تجاوز القراءة الوعظية العامة لهذه القصة، إلى تحليل دلالاتها التربوية بوصفها إطارًا منهجيًا لفهم آليات التوجيه القرآني للسلوك الإنساني، من حيث تفسير دوافع الانحراف، وبيان أثر التكليف في ضبط الاختيار، وإبراز دور التوبة في إعادة التوازن، وصولًا إلى استنباط جملة من القيم التي تسهم في بناء إنسانٍ قادرٍ على تحقيق الانسجام بين دوافعه الداخلية ومتطلبات المنهج الإلهي.

إشكالية البحث

تنطلق إشكالية هذا البحث من التساؤل الرئيس الآتي:

كيف يقدّم القرآن الكريم من خلال قصة آدم وإبليس منهجًا تربويًا لفهم طبيعة النفس البشرية وحركتها بين الطاعة والعصيان؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدد من التساؤلات الفرعية:

1. ما العوامل المؤدية إلى الانحراف السلوكي في ضوء نموذج إبليس، وما أثر العصيان في اختلال التوازن الفردي والمجتمعي؟

2. كيف يسهم التكليف الإلهي في توجيه السلوك الإنساني وضبطه تربويًا؟

3. ما دور الطاعة والتوبة في إعادة بناء الشخصية الإنسانية واستعادة توازنها كما في نموذج آدم عليه السلام؟

مجلة القرار للبحوث العلمية المحكّمة
مجلة شهرية علمية
العدد 29، المجلد 10، السنة الثالثة | أيار (مايو) 2026 | ذو القعدة 1447
ISSN 3006-7294
(CC BY 4.0) مرخصة بموجب المشاع الإبداعي

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يأتي:

1. بيان مفهوم البناء التربوي للإنسان في ضوء القصص القرآني من خلال قصة آدم وإبليس.
2. تحليل أسباب الانحراف السلوكي وآثاره في ضوء نموذج إبليس، مع بيان انعكاس العصيان على التوازن الفردي والمجتمعي.
3. إبراز دور التكليف الإلهي في توجيه السلوك الإنساني وبنائه تربويًا.
4. توضيح دور الطاعة والتوبة في إعادة بناء الشخصية الإنسانية وتحقيق التوازن كما في نموذج آدم عليه السلام.
5. استنباط القيم والمبادئ التربوية المستفادة لبناء شخصية إنسانية متوازنة.

منهجية البحث:

يعتمد البحث المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث تتم دراسة النص القرآني، وتحليل معانيه التربوية، وربطها بممارسات الشباب المعاصرة في المجتمع.

ELQarar®
Journal for Peer-Reviewed Scientific Research
Monthly scientific journal
Issue 29, Vol 10, Year 3 | May 2026 | Zul Qi'dah 1447
ISSN 7294-3006
Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)

المطلب الأوَّل: العصبية وأثرها في فساد الفرد والمجتمع

تُعدّ العصبية من أخطر الانحرافات التي تُصيب النفس الإنسانية، إذ تنشأ من شعورٍ داخلي بالتفوق والاستعلاء، وتنعكس سلوكًا يرفض الحق ويُقصي الآخر. وقد عالج القرآن الكريم هذه الظاهرة بأسلوبٍ تربوي عميق، كاشفًا جذورها النفسية وآثارها السلوكية.

أولاً: تعريف العصبية لغة واصطلاحاً

العصبية لغة:

مشتقة من العصب، وهو: «العَصْبُ الطَّيُّ الشَّديدُ وعَصَبَ الشيءَ يَعْصِبُه عَصْباً طَواه ولَواه وقيل شَدَّه»[1]. والعَصَبَة: «الأَقَارِبُ مِن جِهَة الأَب، لأنهم يَعْصِبُونَه ويَعْتَصِب بِهِم أَي يُحِيطون به ويَشْتَدُّ بهم»[2].

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[3]

العصبية اصطلاحاً:

قال ابن خلدون العصبية هي: «النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء»[4].

وفي التعريفات الحديثة، هي: «رابطة اجتماعية سيكولودية شعورية ولا شعورية معاً، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة ربطاً مستمراً، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد».[5]

ولقد عرض القرآن الكريم نموذجاً لعصبية ساهمت في رسم طريق البشرية، وهي عصبية إبليس، الذي رفض السجود لآدم مما أدى إلى فسقه وخروجه من الجنة. و كانت عصبيته تعبر عن الاستكبار والظلم لقوله تعالى:

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (عَصَب)، 1/602. ومرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (عَصَب)، 3/375.
(2) المصدر نفسه.
(3) سورة يوسف، الآية 8.
(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص 160.
(5) الجابري، محمد عابد، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، 1992م، ص 167.

مجلة القرار للبحوث العلمية المحكّمة
مجلة شهرية علمية
العدد 29، المجلد 10، السنة الثالثة | أيار (مايو) 2026 | ذو القعدة 1447
ISSN 3006-7294
(CC BY 4.0) مرخصة بموجب المشاع الإبداعي

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] فلم يقبل إبليس فضل آدم عليه، وأصابه الحسد والكره مما دفعه إلى عداوته هو وذريته.

فرأى الإسلام أن العصبية هي تعبير عن حالة الفخر والكبر كظاهرة مرضية نفسية، وما أن تأخذ بعداً اجتماعياً حتى تظهر في عصبية عرقية أو طبقية، مما يشير إلى حالة غير سوية في البعد الاجتماعي والنفسي.

فهذه العصبية ما هي إلا تعبير عن أوضاع سيئة في القيم الأخلاقية لهذه البنية الاجتماعية والنفسية، مما يؤدي إلى نشوء العصبية التي تسعى إلى التعبير عن وجودها وتبرر نشوءها، دون أي بعد واقعي أو حقيقي.

فترجع العصبية في مفهومها إلى تربية الفرد، لأن الإنسان ابن بيئته، فيولد فيها، ويأخذ التعاليم والتقاليد والعادات من أسرته، لقوله صلى الله عليه وسلم: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[2].

يتجلّى مفهوم العصبية في القصة القرآنية من خلال موقف إبليس الذي رفض الامتثال للأمر الإلهي بالسجود لآدم عليه السلام، حيث استند في رفضه إلى معيارٍ قائم على التمييز بين الأصلين، كما في قوله تعالى: ﴿أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾[3]. ويكشف هذا الموقف عن بُعدٍ نفسي عميق يتمثل في الاستكبار، الذي يُعدّ من أبرز دوافع الانحراف السلوكي. وتُظهر الألفاظ القرآنية المرتبطة بهذا الموقف، مثل: (أبى واستكبر)، دلالاتٍ تربوية تشير إلى أن العصبية ليست مجرد انحيازٍ فكري، بل هي موقف نفسي مركّب يقوم على رفض الحق بدافع الشعور بالتفوق، مما يؤدي إلى اختلال ميزان القيم لدى الفرد.

ويرتبط هذا السلوك بدوافع داخلية أخرى، كالحسد والعداوة، حيث لم يقتصر موقف إبليس على الامتناع عن السجود، بل تجاوزه إلى إعلان العداوة لآدم وذريته، وهو ما يعكس تحوّل العصبية من حالة نفسية إلى سلوك عملي ممتدّ.

ومن منظور تربوي، تعبّر العصبية عن خللٍ في بناء الشخصية، حين يستبدل الإنسان المعايير الموضوعية القائمة على الطاعة والامتثال، بمعايير ذاتية قائمة على الهوى والاستعلاء. ولا يقتصر أثر هذا الانحراف على الفرد، بل يمتدّ إلى المجال الاجتماعي، عندما تتحول العصبية إلى سلوكٍ يعزّز التمييز ويُضعف قيم العدل، مما يؤدي إلى اضطراب التوازن في العلاقات الإنسانية. ولا ريب في أن غرس معاني الإيمان بالله وبرُسله الكرام عليهم السلام، ومحبّة الناس، وكراهية الشرّ وأهله،

(1) سورة البقرة الآية 34
(2) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، 1/ 456، رقم الحديث (1293).
(3) سورة ص الآية 76

ELQarar®
Journal for Peer-Reviewed Scientific Research
Monthly scientific journal
Issue 29, Vol 10, Year 3 | May 2026 | Zul Qi'dah 1447
ISSN 7294-3006
Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)

ومحبّة الخير وأهله، يكون الوازع الذي يمنع الفرد من الوقوع في الخطأ، والزلل في الآثام، وبالتالي يسْلم الفرد ويسْلم المجتمع[1].

وتتجسد هذه المفاهيم في واقعنا المعاصر من خلال شواهد دقيقة:

1.عصبية «الأصل»: وهو ما يُصطلح عليه في الدراسات الاجتماعية الحديثة بـ ‹العنصرية الهيكلية›، حيث يتحول استعلاء (الأنا) من مجرد شعور فردي إلى نظام اجتماعي يمنح الامتيازات بناءً على العرق أو اللقب.» لا الكفاءة؛ وهو استنساخ لمنطق «أنا خير منه» بالأصل لا بالعمل، مما يقتل روح الإبداع والمساواة.

2.الاستكبار ورفض الحق: يتجلى في رفض القيادات للأفكار التصحيحية لمجرد صدورها عن «مرؤوسين»؛ هنا يطغى وهم التفوق الطبقي على مصلحة العمل، فيُرفض الحق استكباراً.

تحوّل العصبية إلى سلوك عدواني: كما تحول موقف إبليس لعداءٍ دائم، نجد «التنمر الوظيفي» الذي يمارسه البعض ضد الزملاء المتميزين؛ حيث يتحول الشعور بالنقص أو الحسد إلى محاولات «اغتيال معنوي» وإفشال متعمد لنجاح الآخر.

إن العصبية في جوهرها هي استعلاء «الأنا» على «الحق»، وهي تبدأ كمرض نفسي لتنتهي ككارثة اجتماعية تفتت وحدة المجتمعات وقيمها الإنسانية.

(1) ينظر: علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة: دار السلام، ط 21، 1412هـ-1992م، ص 177.

مجلة القرار للبحوث العلمية المحكّمة
مجلة شهرية علمية
العدد 29، المجلد 10، السنة الثالثة | أيار (مايو) 2026 | ذو القعدة 1447
ISSN 3006-7294
مرخصة بموجب المشاع الإبداعي (CC BY 4.0)

المطلب الثاني: أثر التربية في توجيه السلوك الإنساني

التربية هي علم حياة الإنسان، كيف يربي صغاره ويُنشئهم وكيف تنتقل خبرة الكبير إلى الصغير وكيف يحفظ المجتمع نفسه واستمراره.

إن عملية التربية هي الحياة نفسها وتطورها وانتقالها في بُعدي الزمان والمكان.

هي الحياة بكامل أركانها يعيشها الآباء والأبناء،« فقدرةُ الطفل على الالتقاطِ الواعي وغير الواعي كبيرةٌ جدّاً، أكبرُ مما نظنُّ عادةً، ونحن نراه كائناً صغيراً لا يدرِك ولا يَعي »[1].ولكن تظل أساساتها ودعاماتها من قيَم ونظريات واحدة، وهي الأصول التي وضعها القرآن ثم فسّرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته قولاً وعملاً.

وهكذا يقدم الله للإنسان والمجتمع المصباح المنير الذي تسعد في ضوئه حياته وآخرته، لذا يحتاج الى التصديق والعمل والجهاد. هذه هي الغاية التي جاء من أجلها النبي مُحمَّد صلى الله عليه وسلم.

إن التجريب في التربية وفي حياة البشر مُكلف وخطر، "وفي هذا السياق التربوي، يتجلّى التكليف بوصفه الميدان العملي الذي تُختبر فيه حقيقة القيم التربوية، ويظهر أثرها في توجيه سلوك الإنسان عند مواجهة الأمر والنهي."

يمثل «التكليف» في المنظور التربوي الإسلامي نقطة الاختبار الحقيقية للبناء النفسي للإنسان، فالسلوك ليس مجرد رد فعل لحظي، بل هو ثمرة لتربية عميقة تظهر قيمتها عند مواجهة «الأمر والنهي». وفي قصة آدم وإبليس، وعلى الرغم من اختلاف صورة التكليف ظاهرياً بين أمرٍ بالسجود لإبليس كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2]، ونهيٍ عن الشجرة لآدم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]؛ إلا أن جوهر التكليف كان واحداً، وهو اختبار «العبودية والامتثال» أمام «الهوى والذاتية».

إن هذا التفاوت في المخرج السلوكي يعود في أصله إلى طبيعة النيات والإرادات الكامنة في النفس؛ فهي بمثابة الجراثيم في الجسم، فكما أنّ مخالفة الإرشادات الصحيّة التي يصفها الطّبيب، وعدم

(1) سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ، منهج التربية النبوية للطفل، بيروت: دار طيبة، ط3، 1421هـ-2000م، ص91-90.
(2) سورة الحجر الآية 29
(3) سورة البقرة الآية 35

ELQarar®
Journal for Peer-Reviewed Scientific Research
Monthly scientific journal
Issue 29, Vol 10, Year 3 | May 2026 | Zul Qi'dah 1447
ISSN 7294-3006
Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)

اعتماد العلاج المناسب، يؤدّيان إلى ظهور آثار وعوارض على صحة الإنسان قد تودي بحياته. فكذلك تكون النيات السيئة سبباً في مرض الروح[1].

ومن هذا المنطلق التربوي، يُفهم انحراف السلوك لدى إبليس، حيث غلبت نزعة الاستكبار المتجذرة لديه وبناؤه النفسي القائم على التعالي على منطق الطاعة، هذا الخلل التربوي يكمن في تقديم «الأنا» على «الأمر»، وهو ما يؤكده الحديث الشريف: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ».

وعلى النقيض، تجلى السلوك القائم على «العبودية» في موقف آدم؛ فرغم وقوعه في المعصية، إلا أن بناءه التربوي القائم على الاعتراف بالحق قاده إلى التوبة فور التذكير.

ومن هنا، تبرز ضرورة «تزكية النفس» وتطهيرها؛ إذ إن العبادات في جوهرها هي اتصال روحي يستلزم طهارة الروح من الرذائل أولاً، فما دامت الروح ملتصقة برجس الاستكبار أثناء العبادة وبعدها، فإن هذه الأعمال لن تحقق هدفها التربوي، لأن العبادة لم توجد روحها ولم تحقق هدفها أيضاً

شواهد واقعية وعميقة لأثر التربية في توجيه السلوك:

1.ثقافة الاعتذار: الإقرار بالخطأ وتصحيحه (نموذج آدمي)، مقابل تبرير الخطأ والتمسك به كبرياءً (نموذج إبليسي)؛ هذا الفرق هو نتاج تربية الشخصية على التواضع للحق.

2.الانضباط الذاتي: الموظف الذي يلتزم بالأمانة في غياب الرقابة؛ هنا «التكليف» يوجهه بناء تربوي داخلي يقدس «المسؤولية» لذاتها (تعبد الله كأنك تراه).

3.تجاوز الأنا: التنازل عن الرأي الشخصي لمصلحة الجماعة؛ وهو ترجمة واقعية لنجاح التربية في كبح جماح الهوى والاستعلاء.

فلا يرتبط السلوك بوجود الرقيب، بل ينبع من استشعار نظر الله تعالى. "فحين يحس بمراقبة الله له في كل تصرف، وكل فكرة، وكل شعور، يهتز ويرتعش ويخر خاشعاً، لا يعمل شيئاً دون تمعن وتفكر، لا يعمل مستهتراً ولا مستهيناً بالعواقب، إنما يحاسبه على النية وراء العمل"[2]. كما أن تكرار مواقف التكليف في حياة الإنسان يُسهم في ترسيخ العادات السلوكية، فإما أن تعزز الطاعة وتُنمّي جانب الامتثال، أو تُرسّخ العصيان وتُضعف إرادة الالتزام. ومن هنا تتضح أهمية البيئة التربوية المحيطة، إذ تلعب دورًا محوريًا في توجيه الإرادات وتشكيل الاستجابات، إما نحو الانضباط أو الانفلات. كذلك فإن الفارق بين آدم وإبليس لا يكمن في وقوع الخطأ، بل في كيفية التعامل معه؛ فالتربية الحقة تُعلّم الإنسان الرجوع لا الإصرار، والتواضع لا الاستكبار. وهذا يؤكد أن جوهر التربية الإسلامية هو بناء الإرادة الواعية القادرة على تقديم أمر الله على هوى النفس في مختلف الظروف.

(1) مركز المعارف للتعليم والتحقيق، مآب المذنبين، تاريخ الاصدار 2018، ط0، ص66
(2) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الجزء الاول في النظرية، الطبعة الحادية عشر، دار الشروق، ص 58

مجلة القرار للبحوث العلمية المحكّمة
مجلة شهرية علمية
العدد 29، المجلد 10، السنة الثالثة | أيار (مايو) 2026 | ذو القعدة 1447
ISSN 3006-7294
(CC BY 4.0) مرخصة بموجب المشاع الإبداعي

المطلب الثالث: أثر الطاعة والتوبة في الارتقاء التربوي (آدم عليه السلام نموذجًا)

إذا كان نموذج إبليس يمثل «الانحدار السلوكي» الناتج عن الكبر ورفض التكليف،(أبى واستكبر) فإن نموذج آدم عليه السلام يمثل «الارتقاء التربوي» الناتج عن الطاعة الممتزجة بالانكسار والافتقار(فتلقى آدم).

فإن الله تعالى جعل لنا الاختيار، وجعل لنا قدرة تستطيع أن تعصي وأن تطيع، لذلك فإن الإنسان أحياناً ينسى أو يسهو، أو يعصي أمر ربه، وما دام العبد معرضاً للخطيئة، فالله تعالى شرع التوبة، حتى لا يقنط العبد من رحمة الله، ويتوب ويرجع إلى ربه مستغفراً.[1]

فالتوبة في المنظور التربوي ليست مجرد اعتذارٍ عابر، بل هي عملية تزكية وإعادة بناء للشخصية، تنقل الإنسان من مَظنة الخطأ إلى مقام الوعي بالمسؤولية والرقابة الذاتية.

أولاً: فلسفة الارتقاء من خلال التوبة والاعتراف بالحق

تتجلى عظمة البناء التربوي لآدم عليه السلام في سرعة استجابته لنداء الضمير والوحي بعد وقوع الهفوة؛ فلم يلجأ للتبرير أو «العصبية للذات» كما فعل إبليس، بل سلك مسلك «الإنابة»، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2]. هذا "التلقي" هو أرقى درجات الطاعة؛ لأنه يعكس قلباً مهيأً للتربية ومستعداً للتخلي عن "الأنا" في سبيل "الحق"، وهو ما رفعه من مرتبة "المُخطئ" إلى مرتبة "المُصطفى"، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[3]. والارتقاء هنا يكمن في كلمة (وَهَدَىٰ)؛ أي أن التوبة أثمرت "وعياً سلوكياً" جديداً، ويؤكد هذا المعنى النبوي قوله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ[4]».

ثانياً: التكليف كأداة لبناء الرقابة الذاتية والقدوة

إن مفهوم التكليف لا يقف عند حدود «الأمر والنهي»، بل يمتد ليعزز في الإنسان الرقابة الذاتية وخاصة بعد بلوغ سن التكليف؛ حيث ينمو لديه الشعور بالمسؤولية في اتخاذ قراراته الأخلاقية والشرعية، مما يساعد على نمو شخصيته القيادية وارتباطه بالهدف الأسمى وهو عبادة الله وعمارة الأرض.

(1) الشعرواي، محمد متولي (ت1418هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ط، 1997م، 1/268 وما بعدها، بتصرف يسير.
(2) سورة البقرة الآية 37
(3) سورة طه الآية 122
(4) رواه الترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه

ELQarar®
Journal for Peer-Reviewed Scientific Research
Monthly scientific journal
Issue 29, Vol 10, Year 3 | May 2026 | Zul Qi'dah 1447
ISSN 7294-3006
Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)

وهنا تبرز «القدوة» كأعظم وسائل التربية؛ فالمتعلم يقتبس من سلوك المربي أكثر من قوله، ولأجله ينبغي للمربي أن يبدأ بتهذيب نفسه ليكون أهلاً لتهذيب الآخرين. فالوالدان هما أول المطالَبين بالقدوة؛ لأن «قدرة الطفل على الالتقاطِ الواعي وغيرِ الواعي كبيرةٌ جدّاً»، وهو ما نراه في سلوك التابعين كعبيد الله بن أبي بكرة الذي كان يراقب أدعية والده ويسأله عنها، فأجابه والده: «يا بني، إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهن، فأنا أحب أن أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ».

ثالثاً: شواهد واقعية لأثر الطاعة والتوبة في السلوك المعاصر:

1.ثقافة «المراجعة الذاتية»: نجدها في القائد أو المربي الذي يعترف بخطئه في قرارٍ ما ويتراجع عنه فور ظهور الصواب؛ هذا السلوك هو «ارتقاء» يمنحه ثقة الآخرين، تماماً كنموذج آدم الذي ارتقى باعترافه بظلم نفسه.

2.الانضباط الواعي والسيادة على النفس: الشخص الذي يلتزم بالصيام والصلاة والواجبات؛ هنا «التكليف» يقوده إلى الصبر والتحكم في شهواته ونزواته، مما يحول بينه وبين وساوس الشيطان التي تحاول استدراج الإنسان خطوة بخطوة للشر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

3.الاستعانة بالله ونبذ العجز: التوبة والطاعة تولدان في المؤمن القوة النفسية، كما في الحديث: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ... وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ[2]». فالناجح تربوياً هو من يدفع «شر القدر بخيرة" ويحرص على ما ينفعه بمنازعة شياطين الإنس والجن، بدلاً من الوقوع في فخ "لو" التي تفتح عمل الشيطان.

الخلاصة:

يتبيّن أن نموذج آدم عليه السلام يجسّد الارتقاء التربوي القائم على الاعتراف بالخطأ والتوبة الصادقة، في مقابل نموذج إبليس القائم على الكبر والاستكبار. كما يظهر أن التكليف يسهم في بناء الرقابة الذاتية وتعزيز الإحساس بالمسؤولية، بما يوجّه السلوك نحو الطاعة الواعية. وتبرز القدوة التربوية كأداة فعّالة في ترسيخ القيم عمليًا. وبذلك تؤدي الطاعة والتوبة دورًا محوريًا في تزكية النفس وتقويم السلوك وتحقيق التوازن الإنساني.

(1) سورة البقرة الآية 208
(2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله

مجلة القرار للبحوث العلمية المحكّمة
مجلة شهرية علمية
العدد 29، المجلد 10، السنة الثالثة | أيار (مايو) 2026 | ذو القعدة 1447
ISSN 3006-7294
(CC BY 4.0) مرخصة بموجب المشاع الإبداعي

المطلب الرابع: آثار العصيان في اختلال التوازن الفردي والمجتمعي

حين خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكرّمه، وجعله خليفة في الأرض، وأمر الملائكة بالسجود له، امتثلوا جميعًا إلا إبليس الذي أبى واستكبر، ومن هنا بدأت معركة الصراع بين الخير حيث يمثل آدم، والشر حيث يمثل إبليس العداوة لبني آدم والكبر والفساد، بعصيانه لله ورفضه السجود، فكان عصيانه أول مظهر من مظاهر الانحراف القائم على الحسد والكبر.

وقد بدأت هذه العداوة منذ كان آدم جسداً بلا روح، فقال الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه: «كان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصَلصِل –أي فيصوّت– ثم يَدخل في فيه ويخرج من دُبُره، ويدخل من دُبُره ويخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئًا، ولشيء ما خُلقت، لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنك، ولئن سُلِّطتَ علي لأعصِيَنَّك»[1].

ولم يقف أثر هذا العصيان عند حدّ المخالفة الفردية، بل تجاوزه ليؤسس لصراع ممتد بين الحق والباطل، تجلّى في عداوة إبليس لبني آدم وسعيه الدائم لإغوائهم.

ومن هنا تتجلّى حقيقة أن العصيان ليس مجرد خروج عارض عن الطاعة، بل هو سلوك ذو آثار عميقة، تمتد إلى نفس الإنسان فتُحدث فيها اضطرابًا، كما تنعكس على المجتمع فتُضعف توازنه واستقراره، وهو ما يسعى هذا المطلب إلى بيانه من خلال التحليل التربوي للنموذج القرآني في قصة آدم وإبليس.

أولًا: آثار العصيان على التوازن الفردي

إن أثر العصيان في نفس الإنسان، يحدث اضطراباً داخلياً واختلالاً في الإدراك والسلوك، بما ينعكس على توازن الشخصية واستقامتها.

1. الاضطراب النفسي وفقدان السكينة

العصيان يؤدي إلى اختلال التوازن الداخلي للإنسان، فيفقد الطمأنينة ويعيش حالة من القلق والضيق النفسي. ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[2]

2. انحراف البصيرة وتبرير الخطأ

يتجلى ذلك في موقف إبليس حين برّر معصيته، وردّ الأمر على الآمر، ولم يعترف بذنبه، بعكس آدم عليه السلام الذي أقرّ بخطئه وسلك طريق التوبة. وإن تركت المجتمعات أفرادها على هواها،

(1) الطبري، جامع البيان، 1/456.
(2) سورة الاحزاب الآية 36

ELQarar®
Journal for Peer-Reviewed Scientific Research
Monthly scientific journal
Issue 29, Vol 10, Year 3 | May 2026 | Zul Qi'dah 1447
ISSN 7294-3006
Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)

فإنه سيكون ضرراً كبيراً عليها، ولذلك فلا بد من وجود هدفاً للتربية الإسلامية، وهو رضا الله تعالى، وكسب العيش، فهي تربية دينية ودنيوية معاً[1]

وهذا يدل على أن من أخطر آثار العصيان تشويه الإدراك، حتى يرى الإنسان الباطل حقًا.

3. فقدان الشعور بالمسؤولية

إبليس ألقى اللوم على غيره، بينما آدم تحمّل مسؤولية فعله واعترف بذنبه. وهذا يبرز أن العصيان يقود إلى التهرب من المحاسبة، وهو خلل تربوي خطير في بناء الشخصية.

ثانيًا: آثار العصيان على التوازن المجتمعي

يمتدّ العصيان من كونه سلوكًا فرديًا إلى ظاهرة مجتمعية تُضعف القيم وتُربك العلاقات، فتُحدث خللًا في تماسك المجتمع

1. تفكك القيم الاجتماعية: إذا لم تُرسّخ القيم التربوية في النفوس منذ الصغر، نشأ الأفراد على الانحراف، وأصبحوا عامل هدم في المجتمع بدل أن يكونوا عنصر بناء.

2.انتشار الفساد والانحراف: سلك إبليس منهج الإغواء والوسوسة، وسعى لإفساد الإنسان وإبعاده عن الطاعة.

وهذا يدل على أن العصيان لا يبقى سلوكًا فرديًا، بل يتحول إلى ظاهرة تؤثر في المجتمع بأسره.

3.اختلال التوازن بين الحقوق والواجبات: إن مراعاة حقوق المجتمع مرتبطة بالأصول النفسية، فإذا اختلت هذه الأصول ظهر الخلل والفوضى والاضطراب. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [2]

ثالثًا: المقارنة التربوية بين آدم وإبليس

تكشف المقارنة بين آدم وإبليس عن التباين التربوي بين التوبة والاستكبار، وما يترتب عليهما من آثار متباينة، ويتضح من خلال القصة القرآنية الفرق الجوهري بين منهجين:

وجه المقارنة

	الموقف من الذنب	السلوك	النتيجة
آدم عليه السلام	اعترف وتاب	تواضع وخضوع	هداية وقبول
إبليس	أنكر واستكبر	كبر وعناد	طرد ولعنة

(1) أبو جلبان، مقدمة في التربية، ص 37–36.
(2) سورة الاعراف الآية 85

مجلة القرار للبحوث العلمية المحكّمة
مجلة شهرية علمية
العدد 29، المجلد 10، السنة الثالثة | أيار (مايو) 2026 | ذو القعدة 1447
ISSN 3006-7294
(CC BY 4.0) مرخصة بموجب المشاع الإبداعي

وخلاصة ذلك أن آدم سلك منهج الندم والاعتراف بالذنب، بينما سلك إبليس منهج التبرير والاستكبار.

وهذا يدل على أن العصيان بذاته ليس نهاية الطريق، وإنما الإصرار عليه هو منشأ الانحراف الحقيقي.

رابعًا: البعد التربوي في معالجة العصيان

يركّز هذا المحور على أسس المنهج الإسلامي في معالجة العصيان، من التوبة وغرس القيم إلى بناء الوعي السلوكي، لضمان توازن الفرد والمجتمع. هذا مما يوضح ويؤكد ضرورة عدم التسرع في الحكم على الأمور قبل معرفة السبب[1]

1. التوبة كمنهج إصلاحي

لو لم تُشرع التوبة لقنط الإنسان من رحمة الله، ولكن الله فتح باب الرجوع لعباده. ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [2]

2. خطورة الكبر في الانحراف

الكبر من أعظم أسباب الضلال، كما ظهر في نموذج إبليس.

3. أهمية التربية المبكرة

ضرورة غرس القيم التربوية في النشء منذ الصغر، لأن إهمال ذلك يؤدي إلى الانحراف المجتمعي.

خامسًا: أثر العصيان على البناء الإنساني

يبين هذا المحور كيف يؤثر العصيان على النفس والعاطفة والسلوك، مهددًا توازن الإنسان واستقراره الشامل.

1. اختلال الجانب العاطفي

2. ضعف ضبط النفس

الإنسان يحتاج إلى التحكم في أهوائه ضمن الإطار المشروع، والعصيان يؤدي إلى الانفلات السلوكي.

(1) الطراونة، يوسف، أساسيات في التربية، عمان – الأردن: دار الشروق، ط1، 1424هـ 2004م، ص14.
(2) سورة البقرة الآية 37

ELQarar®
Journal for Peer-Reviewed Scientific Research
Monthly scientific journal
Issue 29, Vol 10, Year 3 | May 2026 | Zul Qi'dah 1447
ISSN 7294-3006
Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)

الخاتمة

يتبين من خلال هذا العرض أن العصيان يُحدث خللًا عميقًا في توازن الإنسان الفردي، فيُفقده السكينة ويشوّه إدراكه، كما ينعكس على المجتمع فيؤدي إلى تفككه واضطرابه. غير أن المنهج التربوي القرآني لا يقف عند بيان آثار العصيان، بل يقدّم العلاج من خلال التوبة وتحمل المسؤولية، ﴿... أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[1] ،كما تجلّى في نموذج آدم عليه السلام، في مقابل نموذج إبليس القائم على الكبر والعناد.

وبذلك تؤكد التربية الإسلامية دورها في بناء الإنسان المتوازن، القادر على ضبط سلوكه، وتحقيق التوازن بين متطلبات النفس وضوابط الشرع، بما ينعكس إيجابًا على استقرار المجتمع وتماسكه. كما تبرز أهمية غرس القيم منذ الصغر، وتنمية وعي الفرد بمسؤولياته تجاه نفسه والآخرين. وتشير أيضًا إلى أن التوبة والاعتراف بالخطأ ليست مجرد شعور فردي، بل وسيلة تربوية لتحصين المجتمع من الانحراف والفساد. ومن خلال الاقتداء بالقدوات الصالحة والسلوك القويم، يصبح الإنسان قادرًا على مواجهة التحديات الأخلاقية والسلوكية بثقة وحكمة.

الاستنتاجات

يتبيّن من هذا البحث أن العصيان يرتبط غالبًا بالكبر ورفض الحق، مما يؤدي إلى انحراف في السلوك واضطراب في حياة الإنسان. كما يظهر أن التكليف الإلهي يساعد الإنسان على ضبط نفسه وتحمل مسؤوليته في أفعاله. وفي المقابل، تمثل التوبة طريقًا مهمًا لإصلاح النفس والعودة إلى الصواب بعد الخطأ. ويؤكد ذلك أن سلوك الإنسان يبدأ من داخله، ثم يظهر في أفعاله، وأن القصة القرآنية تقدّم فهمًا واضحًا ومتكاملًا لتوجيه الإنسان نحو السلوك الصحيح.

التوصيات

يوصي البحث بالاهتمام بالتربية المستندة إلى القرآن الكريم لما لها من دور في توجيه سلوك الإنسان، مع التركيز على تربية الأطفال منذ الصغرعلى القيم الإيمانية. كما يدعو إلى الاستفادة من القصص القرآني في التعليم والتوجيه، لما فيه من معانٍ واضحة ومؤثرة. ويؤكد أيضًا على أهمية تنمية الرقابة الذاتية لدى الفرد، بحيث يلتزم بالسلوك الصحيح من داخله، لا فقط بسبب الرقابة الخارجية.

وأخيرًا، يوصي بإبراز أهمية التوبة كوسيلة لإصلاح الإنسان ومساعدته على العودة إلى الطريق الصحيح.

(1) سورة الكهف الآية 50

مجلة القرار للبحوث العلمية المحكّمة
مجلة شهرية علمية
العدد 29، المجلد 10، السنة الثالثة | أيار (مايو) 2026 | ذو القعدة 1447
ISSN 3006-7294
(CC BY 4.0) مرخصة بموجب المشاع الإبداعي

المراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عَصَب)، 1/602. ومرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (عَصَب)، 3/375.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 7002.
4. الجابري، محمد عابد، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، 1992م،
5. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، 1/ 456، رقم الحديث (1293).
6. علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة: دار السلام، ط 21، 1412هـ-1992م.
7. سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ، منهج التربية النبوية للطفل، بيروت: دار طيبة، ط3، 1421هـ-2000م.
8. مركز المعارف للتعليم والتحقيق، مآب المذنبين، تاريخ الاصدار 2018.
9. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الجزء الاول في النظرية، الطبعة الحادية عشر، دار الشروق.
10. الشعراوي، محمد متولي (ت1418هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ط، 1997م، 1/268 وما بعدها، بتصرف يسير.
11. الطراونة، يوسف، أساسيات في التربية، عمان – الأردن: دار الشروق، ط1، 1424هـ 2004م.